

هل كان شوقي أميراً للشعر

عند نقاد الحجاز؟!

عبد الرحمن بن حسن يحيى المحسني

لا يخفى على أحد من النقاد موقف جماعة الديوان من أحمد شوقي، ومن إماراة الشعر<sup>(١)</sup> (The Poetry's rank) لكن الشيء الذي قد يخفى على كثير من نقاد عالمنا العربي الواسع أن حجاز المملكة العربية السعودية كان له رأي في تلك الإمارة، وأنه برغم كثرة الشوقيين، الذين استطاع شوقي أن يضمهم تحت لواء إمرته، إلا أن للحجاز رأياً دفعهم إلى مقاطعة مهرجان تكريم شوقي، ودفع شوقي إلى التساؤل عنهم، بحكم مركز الحجاز، وثقلها الإسلامي، يقول شوقي:

يَا عُكَاطاً تَأْلَفَ الشَّرْقُ فِيهِ      من فلسطينه إلى بَغْدَانِه  
اهْتَقَدْنَا الْحِجَازَ فِيهِ فَلَمْ نَع      شُرَّ عَلَى قَسْئِهِ وَلَا سَحْبَانِه<sup>(١)</sup>

وواضح أن الحجاز قد دُعي إلى حضور المهرجان، وأن عدم حضوره لم يرض شوقي، وأن رأي الحجاز كان له اعتباره، وهذا يكشف توثق الصلة منذ وقت مبكر بين مصر والحجاز، كما يدل دلالة واضحة أن الحجازيين - كما سيظهر - كانوا أقرب إلى دعوة التجديد التي تنادي بها جماعة الديوان آنذاك.

لم يكن مقاطعة مهرجان تكريم شوقي مصادفة، أو تجاهلاً، إذ يبدو أن المقاطعة كانت مقصودة لذاتها، وتتبع من رؤية نقدية لدى الحجازيين، يقول العواد «وكم أحسن الحجاز أو المملكة العربية السعودية في الاستخفاف بهذه الظاهرة، عندما أضرب عن التجاوب مع أصحاب الحفل، حتى اضطر شوقي أن يقول معاتباً أو مندداً»<sup>(٢)</sup> لافتقاده الحجاز في مهرجانه.

ويقول العطار: «وأننا أؤيد أن إماراة الشعر أمر باطل... وأن القصر في مصر كان يريد أن يكون شاعره أميراً للشعر والشعراء»<sup>(٣)</sup>.

وليس موقف العطار من شوقي ذاته، بل الإمارة الشعرية ذاتها حتى إنه نقد طه حسين حين نسب للعقاد إمارة الشعر، والعقاد نفسه - كما يقول العطار - لم يقبلها لنفسه واستنكر هذه الإمارة<sup>(4)</sup>.

وقد كشف كتاب (نظرات في الأدب المقارن، لمؤلفه: عبدالسلام الساسي عام 1377هـ ط القاهرة) أبعاد هذا الموقف في إمارة الشعر، وكشف رأي نقاد الحجاز حول هذه القضية، فمعبداً لفتح أبو مدين يرى أن «إمارة الشعر خرافة لا تستند إلى حقيقة... ولو صحت لأطلقت على امرئ القيس وزهير...<sup>(5)</sup>. وعن رأيه في إمارة الشعر التي نالها شوقي، يرى أنها لقب «عرضي ناله في حقل أقيم له في مصر، وبمناسبة من المناسبات الخاصة، وسماه صاحب الحفل أمير الشعراء، ويرجع ذلك إلى ما يسميه العصبية الحزبية»<sup>(6)</sup>.

وتعليقه لإمارة شوقي تحليل لا يوافقه عليه محمد سعيد العامودي الذي يتفق رأيه مع من قال «إن صحيفة الأهرام هي التي أطلقت عليه أمير الشعراء مجاملة وتحية... ويصف إمارة الشعر بأنها غير ذات موضوع، وأنها لا تعدو أن تكون مجاملات»<sup>(7)</sup>. وكذا يرى محمود عارف «أن صحيفة الأهرام ودأود بركات، ورغبة الرواج التجاري وراء خرافة أمير الشعراء»<sup>(8)</sup>، بينما يرى محمد أمين يحيى «بأن إمارة الشعر خيال لا حقيقة»<sup>(9)</sup>.

ولا يرى محمد حسن عواد أن هذه الإمارة التي مُنحها شوقي أنها دليل على تفوقه الفني، لأنه لا يملك - من وجهة نظره - هذا التفوق، ويرى «أن هذا اللقب المدوي أطلقه صحفيون مصريون على شوقي في عصر ما سماه بميوعة الأدب تزلفاً لمركزه السياسي أو الإداري، وللشعراء في مصر وغيرها رأي غير رأي الصحافة التي ادعت إمارته»<sup>(10)</sup>.

والكتاب يكشف بوضوح معرفة الحجازيين بما يدور في مصر من حركة نقد تجديدية، تهاجم شوقي، والمقلدين، فعند حديث الساسي عن كتاب «الديوان» للعقاد قال عن العقاد والمازني «وكلاهما أغرم بنقد شعر هذا

الشاعر رغم الطبول التي كان يضربها حول شوقي الصحفي داود بركات، وفي «الديوان» صفحات لامعة من نقد شوقي، وهذا نقد مقصود به هدم إمارة الشعر....»<sup>(11)</sup>.

ولأحمد جمال موقف وسط في الحكم بإمارة شوقي، فلا هو ممن يتهم شوقي وعصره بالتخلف الذي دفعهم إلى ادعاء إمارة شوقي، ولا هو ممن يؤمن بأن شوقي هو ملك الشعراء، بل يثبت لشوقي قصائد جياذ، وروائع وطنية وإسلامية<sup>(12)</sup>.

والأبيات التالية للمواد تلخص رأيه ورأي المدرسة التجديدية في الحجاز حول إمارة شوقي، أوردها هنا لارتباطها الوثيق برؤية الحجازيين لهذه الإمارة التي يراها بعضهم «من الموازين المغشوشة التي يقوم بها الأدب»<sup>(13)</sup>، يقول العواد: عام 1949م:

وَلَقَدْ قُلْتُ يَا غَيْبِي لِشَوْقِي	وَهُوَ يَنْعَى الْحِجَازَ فِي سَحْبَانِهِ
مَنْ حَبَا أُمْرَةَ الْقَرِيضِ لِفَرْدٍ	ثُمَّ مَنْ سَوَّغَ اللَّفَا فِي حِسَانِهِ
لَيْسَ لِلشَّعْرِ مِنْ أَمِيرٍ سِوَى الْفِكْرِ	وَحْيِ الشُّعُورِ لَا وَسَنَانِهِ
يَلْهَجَانِ الْهُدَى وَنَفْثَ الرُّوْيِ	الْحُرَّةَ - فِي فَنِّهِ - إِلَى فَنَانِهِ
فَالْحِسَابُ الْحِسَابُ لِلْفِكْرِ خَلَقًا	بَعِيدَ الْمَضِيِّ فِي أَشْطَانِهِ
تِلْكَ فِي الشَّعْرِ مِنْ رِسَالَةٍ سَحْبًا	نَ حَدِيثًا وَغَابِرًا فِي زَمَانِهِ
وَالْحِجَازُ الَّذِي يُحْسِبُ بِهِذَا	كَمْ سَمَا وَالْقَرِيضُ طَوْعُ بَنَانِهِ
فَانصَبْ «المهرجان» لِعَبَةٍ فَرْدٍ	وَتَمَتَّعْ وَمَنْ تَرَى بِاخْتِضَانِهِ
فَهُوَ أَضْحُوكَةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْمَمْلُوكِ	تُفَرِّي دُعَاتِهِ بِامْتِهَانِهِ <sup>(14)</sup>

وكما ثارت جماعة الديوان على شوقي، وهاجمت شعره وقومته، قامت في الحجاز دعوة مماثلة ضد شوقي، وهي تدل على أبعاد تأثير جماعة الديوان على نقاد الحجاز وشعرائه، وهي آراء تعميمية، غير محصورة،

هل كان شوقي أميراً للشعر عند نقاد الحجاز؟! عبدالرحمن بن حسن يحيى المحسني

اندفاعية متأثرة بآراء العقاد في شوقي، وصاحب الوقوف أمام شوقي إشادة بالعقاد وشعره، يقول العواد «والعقاد يستحق منا كل تقدير، لأنه أوقف المدرسة الشوقية المقلدة عن مواصلة السير، والتمادي في القديم، والأخذ بالمنهج الجديد»<sup>(15)</sup>.

وحديث العواد يدل على أن ثمة جماعتين، جماعة العقاد المجددة - ولم تكن قد عرفت بالديوان - وجماعة شوقي المقلدة.

ويقول الساسي عن كتاب الديوان متحدثاً عن العقاد والمازني «وقد نجحاً نجاحاً باهراً حيث خلق في عالم الشعر وعياً سليماً، هو وعي الحرية، والتفكير المنظم، والثقافة الحية الشاملة، بالإضافة إلى إبراز الشخصية في الشعر ذاته، لأن الشعر بلا شخصية كتمثال بلا روح....»<sup>(16)</sup>.

والرايان السابقان يدلان على وعي وتأثر بمدرسة التجديد في مصر.

وقد اتسمت بعض الآراء - لنقاد الحجاز - بالهجوم على شوقي وشعره وإجحافه حقه، ولا أرى رأي الأستاذ أبو مدين الذي يقول: «وفي عهد شوقي نفسه كان هناك شعراء أحق منه بإمارة الشعر ولو صحت... فالتنبي الصغير... (الرصافي) يمتاز عن شوقي في كثير من المراحل...»<sup>(17)</sup>. وهو رأي معمم، ولكن وقوفه ضد شوقي أوحى له بذلك، وفي مسألة إمارة الشعر لا يرى العطار أن ثمة إجماعاً في مصر نفسها على تلك الإمارة، بل رآه بعض النقاد شاعراً غير مبدع - كما يقول العطار - وأنكر بعضهم أن يكون شاعراً في القمة، ويتهمه بالتقليد حتى لشعراء لم يبلغوا في الشعر مبلغ الشعراء الكبار مثل البوصيري<sup>(18)</sup>.

وفي قصيدة «بين صديقين» يقول شحاتة في مقدمتها «أمير الشعراء أحمد بك يخاطب غاندي، وفيها قدر من الاستهزاء بشوقي وإمارته، مطلعها:

سلامُ النيلِ يا غاندي وهذا الزهرُ من عندي

ومنها:

كلانا مخفقُ المسمى ويريندك بريندي<sup>(19)</sup>

وقد تتخذ رؤية العطار شيئاً من الحيادية في هذا الموضوع، فهو ينصف شوقي من المواد الذي يتهمه بأنه شركسي دخيل، ووصفه «بالقدر»<sup>(20)</sup>، يقول العطار: «وأننا أذكر الأستاذ العواد بأنه قال عن نفسه بأنه آري، فلو أنبرى أحد وزعم عن الأستاذ ما زعمه عن شوقي، فما يكون امره»<sup>(21)</sup>. ويقول: «ما أخذه العقاد على شوقي حق، وإن كان العقاد مؤاخذ في أسلوبه»<sup>(22)</sup>.

ويرغم ما قيل ويقال عن شوقي يبقى شوقي شاعراً عظيماً، له قصائد جياذ تحمل معنى الشعر، وتدل على قدرة شعرية عالية، وله بالمقابل قصائد خالية من رواء الشعر، ظاهر فيها التكلف، اعتمد عليها كثير ممن انتقد شعره. ولعل مكانته في القصر قد ألزمت به ما لم يكن لديه فناعة به، ومن الظلم لشوقي أن تلتقط قصائد معينة، يبني عليها حكم عام معمم على شعره. وفي كل الحالات فإن شوقي لم يخسر تلك الضجة وتلك المعارك التي أقيمت حول شعره «والتاريخ المنصف إذا تحدث عن دور شوقي فلا يكفيه أن يسجل دوره في الشعر فقط، بل ما ينتجه أنصاره وخصومه حول هذه الإمارة من مقالات وبحوث، وقصائد»<sup>(23)</sup>، وإذا سلمنا للدكتور سعد ظلام برأيه الذي يرى فيه أن شوقي تغيرت وجهة شعره، وأنه أخذ برأي مدرسة الديوان في آخر حياته فهذا يفتح للبحث حول شوقي آفاقاً أخرى.. يقول الدكتور سعد ظلام:

«وكانت آراء الديوان، ونقدها، وحركتها، ودعوتها وراء كل تجديد جاء به شوقي من مسرح، وقول على لسان الطير والحيوان، وتجديد في الأوزان واختراع لبعضها.. إذ بدأ شوقي هذا الاتجاه المسرحي رداً على دعوى الجمود حتى يحافظ على مكانته كرائد، وأمير للشعراء»<sup>(24)</sup>.

ولئن كان الأمر كما قيل، وأن تلك المعركة الأدبية ضد شوقي قد أثرت

فيه وفي تجديده، إلا أن ثمة مؤثرات أخرى كان لها أثر واضح في تجديد شوقي غير مدرسة الديوان، منها مقامه(\*) في أسبانيا، وما أفاده من اطلاع على الثقافة الغربية، وكانت أسبانيا - ولا زالت - منفذاً مهماً لتصدير الثقافة الأوروبية إلى البلدان العربية عن طريق المغرب، أضف إلى ذلك أن وجوده في أسبانيا قد أذكى شعوره، وتحول بشعره إلى وجدانية طالما دعت إليها جماعة الديوان والعقاد، على هذا التحول في رؤيته، وقبوله للتجديد، أنه قبل الانضمام إلى جماعة أبولو وقد عين رئيساً لها مدة قصيرة... ويبقى بعد ذلك شوقي شاعراً عظيماً رغم كل ما دار حوله، وبعبداً عن قبول أو رفض إمارته للشعر، إلا أنها تدل على مكانته في الشعرية العربية.

## الهوامش

(\*) عن معركة العقاد مع شوقي يُنظر: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، أماكن متفرقة. وكتاب الديوان في النقد والأدب بالاشتراك مع المازني. وكتاب العطار عن العقاد ومعاركه. وكتب أخرى.

(1) يُنظر: الشوقيات، ج 2، ص (192).

(2) يُنظر: الساسي، نظرات جديدة في الأدب المقارن، ص (21).

(3) يُنظر: كلام في الأدب، ص (28) وما بعدها.

(4) يُنظر المرجع السابق نفسه.

(5) هذا رأي لازال الأستاذ أبو مدين مصراً عليه وقد سألته في مقابلة علمية معه، فكان رأيه مناصاً لهذا القول، «مقابلة علمية مسجلة» جدة (1419/4/12هـ).

(6) يُنظر: الساسي، نظرات جديدة في الأدب المقارن، ص (43).

(7) يُنظر: المرجع السابق، ص (52-53).

(8) يُنظر السابق: ص (29-30).

(9) يُنظر السابق، ص (47).

- (10) يُنظر عبدالسلام الساسي: نظرات جديدة في الأدب المقارن، ص (20-21).
- (11) يُنظر: الساسي، المرجع السابق، ص (29).
- (12) يُنظر: أحمد جمال، أدب وأدباء، ص (118-120) (دار الثقافة - مكة - الطبعة الأولى ٢٠١٤، ٢٩٩١١).
- (13) يُنظر: د. إبراهيم الفوزان، الأدب الحجازي الحديث، ج 3 ص (951).
- (14) يُنظر ديوانه، ج 2 ص (31-32).
- (15) يُنظر: الساسي، نظرات جديدة في الأدب المقارن، ص (21).
- (16) يُنظر: الساسي، نظرات جديدة في الأدب المقارن، ص (29).
- (17) يُنظر المرجع السابق، ص (43).
- (18) يُنظر: العطار، كلام في الأدب، ص (129).
- (19) يُنظر: ديوان شحاتة، ص (319). «ويريندي مدينة هندية».
- (20) يُنظر: زهير كتبي، العطار عميد الأدب، ص (195). وينظر: د. غازي عوض الله، الصحافة الأدبية، ص (166).
- ❖ (هذا الموقف لم يمنع المواد من رثاء شوقي بعد موته، ينظر: المواد، نحو كيان جديد، ديوان المواد، ج 1 ص (109).
- (21) يُنظر: كلام في الأدب، ص (132).
- (22) يُنظر: زهير كتبي، العطار عميد الأدب، ص (195).
- (23) يُنظر: د. إبراهيم الفوزان، الأدب الحجازي الحديث، ج 3 ص (903)، بتصرف.
- (24) يُنظر: د. سعد ظلام، مقال مدرسة الديوان وأثرها في الشعر العربي، مجلة «الفصل» العدد (117) (ربيع الأول 1417هـ) ص (101).
- ❖ (يربط بعض الدارسين بين نفي البارودي، ونفي شوقي، وبينهما تباين، فنفي شوقي أقرب إلى السفر منه إلى النفي).

